محاضرة الادب

قصيدة البردة

كعب بن زهير:
من الشعراء المخضرمين، عاش زمن الجاهلية وفي صدر الاسلام ، أعتنق إخوة (بجير بن زهير) الإسلام قبل سنة 7هـ فكتب اليه كعب يوبخه ويهجو الإسلام فرد عليه بجير محذراً إياه من أنّ الرسول (عليه الصلاة والسلام) قد اهدر دمه، ان استمر في هجائه إياه، ونصحه أن يأتي النبي تائباً. امتثل كعب لاقتراح أخيه وحضر بين يدي الرسول الكريم ومعه هذه القصيدة مادحاً إياه ومعتذراً له، بعد أن استشفع بأبي بكر (رضي الله عنه) سنة (9هـ) (630م) بعد صلاة الصبح، فأمنه فأنشده كعب القصيدة وكانت وفاته سنة 26هـ/ 645م.

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ
وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلوا إِلاّ أَغَنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
هَيْفاءُ مُقْبِلَةً عَجْزاءُ مُدْبِرَةً لا يُشْتَكى قِصَرٌ مِنها ولا طُولُ
تَجْلُو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ كأنَّهُ مُنْهَلٌ بالرَّاحِ مَعْلُولُ
أُنْبِئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَني والعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ
وقَدْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ مُعْتَذِراً والعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَقْبولُ
مَهْلاً هَداكَ الذي أَعْطاكَ نافِلَةَ الْقُرْآنِ فيها مَواعيظٌ وتَفْصيلُ
لا تَأْخُذَنّي بِأَقْوالِ الوُشاة ولَمْ أُذْنِبْ وقَدْ كَثُرَتْ فِيَّ الأقاويلُ
لَقَدْ أَقُومُ مَقاماً لو يَقومُ بِه أرَى وأَسْمَعُ ما لم يَسْمَعِ الفيلُ
لَظَلَّ يِرْعُدُ إلاَّ أنْ يكونَ لَهُ مِنَ الَّرسُولِ بِإِذْنِ اللهِ تَنْويلُ
إنَّ الرَّسُولَ لَنورٌ يُسْتَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ اللهِ مَسْلُولُ
في فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قالَ قائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أسْلَمُوا زُولُوا

زالُوا فمَا زالَ أَنْكاسٌ ولا كُشُفٌ عِنْدَ الِّلقاءِ ولا مِيلٌ مَعازيلُ

مناسبة كتابة النص

عندما ظهر الإسلام وصل خبر ظهوره إلى قبيلة (مزينة) في وسط الجزيرة العربية فاتفق (كعب) مع أخيه (بُجير) على أن يذهب أحدهما إلى المدينة المنورة لاستطلاع الأمر فذهب (بجُير) وشرح الله صدره للإسلام فأسلم ولم يعد. فاغتاظ أخوه (كعب) وهجاه بالشعر وهجا الإسلام والرسول فأهدر النبي دمه. وبعد فتح مكة ودخول القبائل كلها في الإسلام فزع كعب ا فأشاروا عليه بالذهاب إلى كبار الصحابة لحمايته من ويبايعه ويعتذر ففعل وألقى بعضهم أن يذهب إلى مسجد الرسول هذه القصيدة اللاَّمية فعفا عنه وخلع عليه بُرْدته وصار من شعراء الرسول . ومطلعها غزلٌ على طريقة الجاهليين

غرض (القصيدة):

الاعتذار والمدح وهو من الأغراض المتداولة في الجاهلية والإسلام لأن حياة الشاعر لا تخلوا من أخطاء يعتذر عنها ـ وهو يجعل المدح وسيلة لإرضاء من يعتذر إليه حتى يكسب عطفه ورضاه ـ وكان النابغة الذبياني في الجاهلية فارس هذا الميدان ـ وسار على طريقة كعبُ بنُ زهير مع اختلاف الظروف فالنابغة يخشى بطش ملك ظالم هو النعمان وكعب يأمل العفو من إنسان عظيم هو الرسول الكريم ولذلك بات النابغة في أرق وعذاب بعد تهديد الملك له أما (كعب) فقد احتمى بالإسلام وبايع الرسول عليه السلام والرسول لا يقتل المسلمين ومبادئ الإسلام تدعو إلى الرحمة فتحقق أملهُ في العفو.

بانَتْ سُــعادُ فقَلْبِي اليــومَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إثْرَهــا لَم يُفْدَ مَكْبــولُ

بدأ (كعب) قصيدته بالغزل على عادة الشعراء في ذلك العصر تمهيداً للمدح وقد كانوا يبدؤون بالغزل لارتباطه بحياة البادية وأهمية المرأة عند العرب ولأنه كالموسيقى التي تمهد للإنشاد سواء في الوصف أو المدح أو حتى في الرثاء.
وقد استمر الشعراء يبدؤون مدحهم للرسول بالغزل على مر العصور.
ويرى النقاد أنه تقليد لا عيب فيه ولا يمس شرف الموضوع وهو مدح الرسول عليه السلام بدليل أن الرسول نفسه استمع إلى قصيدة (كعب) وما فيها من الغزل

وأعجب بها وخلع عليه بردته وعفا عنه فالشاعر عن اثر فراق سعاد عليه فقد تركته و رحلت عنه فدمر فراقها قلبه ، لكنه ما زال متعلقا بها .

وما سعادُ غَـدَاةَ البَيْنِ إذ رَحَلُـوا إلا أَغَنُّ غَضِيـضُ الطَّرْفِ مَكْحـولُ

هيفـاءُ مُقْبِلَـةً عَجْزَاءُ مُـدْبِرَةً لا يُشْـتَكَى قِصَرٌ مِنهـا ولا طـولُ

يصف الشاعر محبوبته سعاد لحظة رحيلها مع قومها بأنها بدت كغزال في صوتها غنة و في عينيها حياء و اكتحال، يذكر الشاعر في بداية قصيدته سعاد التي رحلت بعيدًا دون أن تحفظ العهد، ولكن قلبه ظل معلقًا بها، وشبهها بالغزال الأغن، مكحول العين، واصفًا أسنانها وابتسامتها، ويتنكر لها لخداعها إياه بمواعيدها التي كمواعيد عرقوب المعروف بإخلافه للوعد، وربما يتساءل البعض كيف يذكر الشاعر امرأة ويتغزل بها في حضرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولكن الجواب على ذلك، أنه تقليد فني من تقاليد القصيدة في الشعر الجاهلي فلم يقصد امرأة بعينها، وقيل أيضًا أنه قصد حياته في الجاهلية التي ستمضي وتنقضي بعد دخوله للإسلام ، و يلاحظ أنه وصف حسي اقتصر على الوصف الخارجي للمحبوبة دون التعمق في نفسها و إبراز جمالها المعنوي ، ولقد اختار لمحبوبته الخيالية اسم (سعاد) وذلك لأنه مشتق من (السعد والإسعاد) وهو سعيد بقبول الرسول اعتذاره ودخوله الدين الإسلامي ، كما أنه بدأ بالغزل للفت انتباه السامعين إليه و إلى شعره .(متبول /مكبول) جناس ناقص لإعطاء الجرس الموسيقي وإبراز المعنى .
وقد أكد هذا التشبيه الذي اس عن طريق القصر والتوكيد بالأداة (إلا). هيفاء مقبلة / عجزاء مدبرة : مقابلة (تقسيم يعطي جرسا موسيقيا / لإبراز المعنى وإيضاحه قصر / طول : طباق . في هذا البيت تشبيه ، فهو يشبه شدة لمعان أسنانها كأنها مسقية بالخمر نهلا أكثر من مرة . كما أن الشاعر يستخدم في هذا المقطع (الصورة الكلية) بما فيها من لون وحركة وصوت تنقل لنا المشهد وكأنه ماثل أمامنا نراه ونسمعه، فمن الألفاظ الدالة على اللون:)مكحول / عوارض / ظلم الراح) ومن الألفاظ الدالة على الحركة: (بانت / مكبول / مكحول / رحلوا / مقبلة / مدبرة/ تجلو / ابتسمت) ومن الألفاظ الدالة على الصوت : (قلبي / رحلوا / أغن).

أُنْبِئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنـي والعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ
وقَدْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ مُعْتَذِراً والعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَقْبولُ
مَهْلاً هَداكَ الذي أَعْطاكَ نافِلَةَ الْقُرْآنِ فيها مَواعيظٌ وتَفْصيلُ
لا تَأْخُذَنّي بِأَقْوالِ الوُشاة ولَمْ أُذْنِبْ وقَدْ كَثُرَتْ فِيَّ الأقاويلُ
لَقَدْ أقُومُ مَقاماً لو يَقومُ بِه أرَى وأَسْمَعُ ما لم يَسْمَعِ الفيلُ

تأتي الابيات مليئة بالمشاعر، فبعد مشاعر الحب لسعاد تتناغم فيها انفعالات تُصوّر خوفه وقلقه مقترنة بتجربة شعرية ثرية لكعب، ومخزون شعري جاهلي رصين يعتمد على الألفاظ الجزلة استمدها من بيئته ، حتى يبدي ندمه على ما بدر منه متأملا العفو، وراجيا من الرسول ألا يستمع إلى أقوال الوشاة، وأنهم أكثروا من الكذب عليه ، ويتضح من خلال هذا المقطع أن مقام النبوة في القصيدة مفعم بالقداسة والإجلال، وقد سعى الشاعر أن يقارب هذا المدخل بجملة من المؤشرات الدالة على استيعابه للسياق الجديد الذي يتكلم من داخله بعيدا عن التصورات السابقة التي كانت سببا في انزياحه عن جادة الصواب، فلم يعد يضع معتقده – كما فعل مع أخيه بجيرا- في ميزان المقارنة مع الإسلام، وإنما آمن بأن الإسلام هو الهدى وأنه من عند الله، ويُستشفّ ذلك من قوله: " مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ الْقُرآنِ"، ومن ثمة فإن مقام النبوة مقام مهابة وتعظيم وإجلال. ومن جلاله أن الفيل لو قام فيه مع ضخامته لظل يرتعد لِعظم هذا المقام. وذكره الفيل إنما كان للصورة التي يحتلها في مخيال الناس الجمعي من حيث الضخامة والقوة. فكيف لإنسان غاية في الضعف والوهن ألا يرتعد ويخشع والرسول r في مقام قوة ومنعة، "وقوله القيل"، أي إن قوله هو المعتد به شرعا وهو قول نافذ لا اعتراض عليه وبإمكانه أن ينفذ وعيده في حق الشاعر،
هكذا اجتمع لقيمة العفو التي دافع عنها الشاعر من الدواعي والأسباب ما جعلها بؤرة تسبح في فلكها باقي القيم الإسلامية المطروقة في القصيدة، خاصة وأن الشاعر كان في حاجة إلى "العفو" قبل أي شيء آخر حين ضاقت به الأرض بما رحبت وتخلى عنه الأخلاء وطوّقه الوشاة

إنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُستَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ
فِي فِتْيَةٍ مِن قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُواْ زُولُواْ

يقر الشاعر بأن الرسول سيف من سيوف الله التي يقام بها الحق فوق الأرض، وقومه المهاجرون رضي الله عنهم لا ينازعونه القول بل يأتمرون بأمره، فقد هاجروا عندما أسلموا استجابة لأمره ولم يبق في مكة إلا المستضعفون ، وهذا البيت هو بيت القصيد في هذه القصيدة، فكل ما قبلها إنما هو توطئة له، فهو استئناف كلام رجع به من الاستطراد إلى المدح. ولذلك نال به رضى رسول الله وعفوه عنه، فرمى صلى الله عليه وسلم عليه بردته الشريفة، وسمّيت هذه القصيدة باسم البردة ، ونلاحظ أن الشاعر أكد شيئا موجودا سلفا وارتقى به إلى مدارج الرفعة الشعرية مازجا بين الإمتاع والإقناع في صورة لقيت متوبة النبي واستحسانه وإشارته إلى أصحابه أن اسمعوا وعوا.

معاني المفردات:
المتبول: الذي اسقمه الحب ومثلها المتيم.

قوله القيل: قوله الحق.
انكاس: جمع نكس وهو الضعيف.
ميل: جمع أميال: من لا يحسن الركوب.
معازيل: جمع معزول: من لا سلاح له.
النافلة: العطية.
زالوا: زالوا من مكة الى المدينة.
كشف: من لا درع له.

الخصائص الفنية لأسلوب كعب بن زهير

1. **غرابة بعض الألفاظ مع جودة الوصف .**
2. **تنوع الأساليب بين الخبر والإنشاء لتحريك الذهن وتشويق السامع والقارئ.**
3. **قلة الصور الخيالية لحاجة الموقف إلى الإقناع العقلي لا الإمتاع العاطفي .**
4. **قلة المحسنات البديعية .**
5. **وضوح الموسيقى في وحدة الوزن والقافية واختيار بحر البسيط التأثر بالقران الكريم والإسلام .**

الابيات المطلوبة للحفظ من قصيدة كعب بن زهير

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ
وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إذْ رَحَلوا إلاّ أَغَنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
هَيْفاءُ مُقْبِلَةً عَجْزاءُ مُدْبِرَةً لا يُشْتَكى قِصَرٌ مِنها ولا طُولُ
تَجْلُو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ كأَنَّهُ مُنْهَلٌ بالرَّاحِ مَعْلُولُ
أُنْبِئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَني والعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ
وقَدْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ مُعْتَذِراً والعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَقْبولُ
مَهْلاً هَداكَ الذي أَعْطاكَ نافِلَةَ الْقُرْآنِ فيها مَواعيظٌ وتَفْصيلُ
لا تَأْخُذَنّي بِأَقْوالِ الوُشاة ولَمْ أُذْنِبْ وقَدْ كَثُرَتْ فِيَّ الأقاويلُ
إنَّ الرَّسُولَ لَنورٌ يُسْتَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ اللهِ مَسْلُولُ
في فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قالَ قائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أسْلَمُوا زُولُوا